الدرس التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فيقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه «كتاب التوحيد» :

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : { أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف:١٣١] .

وقوله : { قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ } [يس:١٩] .

****

قال المصنف الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» : ((**بابٌ ما جاء في التطير**)) ؛ ما جاء في التطير : أي من الوعيد الشديد والتهديد لفاعله وبيان أن التطير ضربٌ من الشرك؛ لما يقوم في قلب المتطير من تعلقٍ بما تطيَّر به ، أو ربما اعتقاد جلب نفع أو دفع ضر من جهته ، ولهذا على إثر ذلك يُحجم أو يُقدِم لما قام في قلبه من أمرٍ أو اعتقادٍ جعل فيه نوعًا من التعلق بهذا الشيء الذي تطيَّر به .

والتطير : هو التشاؤم ، وكانوا في الجاهلية يتشاءمون من بعض الطيور كالبوم والغراب ونحوهما من الطيور ؛ يتشاءمون من أصواتها ويتشاءمون من رؤيتها ، حيث يرى مثلاً البوم واقفاً على بيته فإنه يعتقد في ذلك اعتقاداً ويتشاءم من ذلك ويقول "نعى لي نفس أو أحد أقربائي" ، وربما أيضا تشاءموا بحركة الطير من حيث سيرها يميناً أو شمالا ، فإذا أعطتهم الطير الميامن استبشروا ، وإذا أعطتهم المياسر تشاءموا ، ولهذا إذا أراد بعضهم قضاء حاجةٍ من تجارة أو سفر أو زواج أو نحو ذلك ذهب إلى مكان الطير وهيَّجها من مكانها لينظر إلى أيِّ جهة تطير ؛ فإذا أعطته ميامنها تفاءل واستبشر وأقدَم على الأمر الذي أراد ، وإذا أعطته مياسرها فإنه ينقبض ويُحجم ويتشاءم ولا يفعل الشيء الذي أراد أن يفعله من زواج أو تجارة أو نحو ذلك .

ولما كانت الطيرة والتطير أمراً ينافي كمال التوحيد الواجب وينافي المعتقد الحق القائم على الإيمان بالله والثقة به وحسن التوكل عليه وتفويض الأمر كله إليه سبحانه وتعالى وكانت الطيرة منافيةً لذلك كله عقد الإمام رحمه الله تعالى هذه الترجمة ((بابٌ ما جاء في التطير)) ؛ تحذيراً من هذا المسلك الوخيم والنظرة المظلمة ؛ نظرة التشاؤم

وانقباض النفس والتفات القلب إلى هذه الطيور أو نحوها مما يتشاءم به أهل الجاهلية ومن سار سيرهم ، فعقد رحمه الله تعالى هذه الترجمة تحذيراً من ذلك قال: ((بابٌ ما جاء في التطير)) .

وبدأ رحمه الله هذه الترجمة بآيتين من كتاب الله عز وجل هما : قول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٣١] وقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ [يس:١٩].

بدأ رحمه الله بهاتين الآيتين لبيان أنَّ هذا التطير الذي جاء في الأحاديث الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذمُّه والتحذير منه وبيان أنه من الشرك عقيدةٌ قديمة موجودة عند الأمم قبلنا ؛ فكان فيهم التطير والتشاؤم ، كانت فيهم هذه العقيدة ،وكانوا من أهل هذا الاعتقاد التطير والتشاؤم ، ولهذا أورد رحمه الله هاتين الآيتين لبيان أن التطير موجود منذ القِدم وهو من صفات وأخلاق أعداء الأنبياء ؛ كانوا يتطيرون -أي يتشاءمون- ومن جملة تطيرهم بل من أشنعه وأقبحه أنهم كانوا يتطيرون في الأنبياء ويظنون أن الأنبياء مجيئهم يعتبر شؤم عليهم وسبب البلاء وسبب الشرور وسبب النكد والآلام وغير ذلك ، وهذا أقبح ما يكون في التطير وكله قبيح ، أقبح ما يكون في التطير عندما يكون التطير فيمن جاء هادياً إلى كل خير وداعياً إلى كل فضيلة ومحذراً من كل شر وبلاء ، فالأنبياء هم صفوة الخلق وخيار الناس وهم الدعاة إلى كل حق وهدى وفضيلة والنُّهاة عن كل شر وبلاء ورذيلة ؛ فانظر حال الأمم كيف يبلغ بها القبح والشناعة أن يتطيروا في الأنبياء وأن يتشاءموا في الأنبياء وأن يعتقدوا أن مجيء الأنبياء مجيء للشر ومجيء للبلاء ومجيء للعواقب والأشياء التي لا تحمد .

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ جاءت هذه في سياق الإنكار على تطير هؤلاء الكفار بموسى عليه السلام ومن معه والرد على هذه العقيدة الخبيثة السيئة التي هم يعتقدونها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٠-١٣١]

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ﴾ مثلا الأمطار والأرزاق وكثرة الماشية وكثرة الأموال وقوة الصحة وكثرة الأولاد ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ أي نحن جديرون بهذا ونحن حقيقون به ونحن أهل لمثل هذا التكريم وهذا الإنعام ، ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ يعني يصيبهم مثلاً مرض أو جائحة أو فقر أو موت في الأولاد أو غير ذلك من المصائب ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ أي والمؤمنين الذين معه . ما معنى ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾؟ يقولون هذه المصائب التي حلَّت بنا ونزلت من مرض أو فاقة أو شدة أو غير ذلك سببها أن موسى ومن معه أهل شؤم وجاءوا لنا بهذا البلاء وجاءوا لنا بهذا الشر . ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ أي يضيفونه هذه الأمور إلى موسى ومن معه أنهم

شؤم عليه وسببٌ للبلاء ؛ وهذا أقبح ما يكون والعياذ بالله ، أقبح ما يكون أن يصل في الإنسان التطير والتشاؤم إلى أن يتشاءم بأئمة الهدى الذين لا يوجد في الأرض مثلهم خيراً وفضلاً ونُبلا ودعوة إلى الحق ، فيقولون هذه المصائب وهذه المشكلات التي حلت ونزلت بنا السبب في مجيئها موسى ومن معه ، فقال الله تبارك وتعالى في رد هذه العقيدة الباطلة الخبيثة التي يعتقدها هؤلاء بقوله : ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : ما يحلُّ بهم من مصاب وما يقع من بلاء وما يعرِض لهم من أسقام أو أمراض أو نقص أو غير ذلك ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى ، فإن الأمور كلها بقضاء الله وقدره ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . فقوله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدَره جلَّ وعلا ، ولهذا سبب وهو: كفرهم وقبحهم وصدودهم وإعراضهم عن دعوة الأنبياء والمرسلين؛ ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا تسجيلٌ عليهم بالجهل وأنهم أهل جهلٍ ، وإلا لو كانوا أهل يفهمون ويعقلون ويتدبرون الأمور وينظرون إليها نظراً صحيحا لعلِموا أن موسى إنما جاء ليهديهم إلى كل فضيلة ويدعوهم إلا كل حق ويحذِّرهم من كل شر وبلاء ، فإن الأنبياء ما تركوا خيراً إلا دلُّوا أممهم عليه ، ولا شراً إلا حذروا أممهم منه .

كذلكم الآية التي تليها التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى وهي قوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أيضا جاءت هذه في الرد على أعداء الرسل ومن يتشاءمون ويتطيرون بالمرسلين . قبلها قال الله تعالى في قصة أصحاب القرية في سورة يس: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ ما معنى﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؟ أي نحن نتشاءم برؤيتكم وسماعكم ومشاهدتكم ودعوتكم ، نتشاءم بهذا ونرى أن ما ينزل بنا من بلاء هو سببه أنتم ، ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي نحن متشائمون منكم ونرى أن وجودكم شؤماً علينا وسبباً للبلاء والشر والمصائب، هذا معنى قولهم ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ .

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾أي عن دعوتنا ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؛ فانظر هذه النظرة السيئة الخبيثة المتشائمة التي ينظرها هؤلاء لأنبيائهم ورسلهم عليهم صلوات الله وسلامه ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ثم حذروا من المضي في هذه الدعوة وهدَّدوا وتوعدوا ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فماذا كان الجواب ؟

﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي ما يحل بكم من بلاء وما تنزل بكم من مصائب وشدائد ونحو ذلك معكم ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي : هذه الأمور التي هي ما يحل بكم من بلاء وما ينوبكم من مصائب ونحو ذلك هذه معكم ؛ بسبب كفركم وجحودكم وصدودكم عن دعوة الأنبياء والمرسلين ، ثم لم تقولوا ذلك لنا إلا لأنَّا دعوناكم إلى الله ؟! ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾أي أأن ذكرناكم بالله والدعوة إليه وتوحيده تطيرتم بنا وقلتم إننا سبب

الشؤم!! ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ وهذا أشد ما يكون وأنكى ما يكون في الإسراف والعياذ بالله .

وسبحان هذه العقيدة المتشائمة باقية كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) وهو موجود عند المصنف في بابٍ سبق أورده المصنف رحمه الله تعالى؛ ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) كما أنه وُجد في الأمم الماضية فيمن قبلنا من يتشاءم بالأنبياء فأيضاً في أمة محمد عليه الصلاة والسلام من يتشاءم في أهل الخير ودعاة الفضل وأئمة الصلاح وأهل العلم ، ولهذا تجد في الغوغى والجهَّال والسفهاء والمعرضين عن دين الله من يتجرأ كل جرأة ويقول هؤلاء المتدينين أو هؤلاء العلماء هم سبب كل شر وهم سبب كل بلاء ، ما جاءنا البلاء إلا منهم وما نزل بنا الشر إلا من جهتهم ؛ على طريقة الأولين التطير في أهل الحق وأهل الفضل وأهل النبل ويقولون هؤلاء هم سبب التأخر وهم سبب الرجعية وهم سبب كذا الخ ، يتشاءمون من أهل الخير والفضل . وهذا أقبح ما يكون في هذا الباب ؛ باب التشاؤم والتطير .

أورد المصنف رحمه الله تعالى هاتين الآيتين لبيان ما سبق الإشارة إليه ثم أخذ يسوق الأحاديث عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في التطير .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ولا صفر)) أخرجاه . زاد مسلم ((ولا نوء ، ولا غُول)) .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث المخرَّج في الصحيحين صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر)) وزاد مسلم ((ولا نوء ولا غُول))** ؛ هذه ست أشياء نفاها النبي عليه الصلاة والسلام وكلها من عقائد أهل الجاهلية ، أشياء كان يعتقدها أهل الجاهلية فجاء النبي عليه الصلاة والسلام بنفيها وإبطالها وبيان أن هذه الأمور كلها غير صحيحة ، فنفى ذلك النبي صلوات الله سلامه عليه ، ينفي هذه الاعتقادات التي هي من اعتقادات أهل الجاهلية في هذه الأشياء .

الأول قال : **((لا عدوى))** ؛ والعدوى معروفة ، العدوى : انتقال المرض من شخص لآخر أو من بهيمة لأخرى، كأن تكون مثلاً بهيمةٌ فيها جرَب فتأكل معها أو تلتصق بها بهيمة أخرى فتصاب بالمرض نفسه فتنتقل عدوى المرض من البهيمة الأولى إلى البهيمة الثانية ؛ هذا يقال له عدوى ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال : ((لا عدوى)) ، والمنفي هنا : اعتقاد جاهلي كان عليه أهل الجاهلية فنفاه النبي صلوات الله وسلامه عليه وبيَّن بطلانه

وعدم صحته ، لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه الأشياء تنتقل بطبيعتها ، ولهذا قلوبهم تكون ملتفتة إليها ليست متوكلة على الله ولا ملتجئة إلى الله وإنما تكون ملتفتة إلى هذه الأشياء وأنها عندهم تنتقل بطبيعتها ، ولا يلتفتون إلى من بيده أزمَّة الأمور ومقاليد السماوات والأرض توكلاً عليه وثقةً به وطلباً للعافية من جهته هذا لا يوجد عندهم وإنما يعتقدون فيها ؛ فنفى عليه الصلاة والسلام هذا الاعتقاد الجاهلي وجاء عنه أحاديث منها ؛ ما جاء في المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا)) ؛ قال ذلك نفياً لما يعتقده هؤلاء ونفيا لتلك التعلقات الباطلة. قال ((لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا)) فقال رجل : «يَا رَسُولَ اللَّهِ النُّقْبَةُ مِنْ الْجَرَبِ تَكُونُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ أَوْ بِذَنَبِهِ» يعني قطعة صغيرة من الجرب في ذنبه ، ويكون فِي الْإِبِلِ الْعَظِيمَةِ -يكون في وسط إبل كثيرة جداً– فَتَجْرَبُ كُلُّهَا . لما قال النبي عليه الصلاة والسلام ((لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا)) جاء هذا الرجل بهذا المثال يسأل ، قال النبي عليه الصلاة والسلام ((فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟)) قال ذلك عليه الصلاة والسلام لإبطال ذلك ، قال ((فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ ؟ لا عدوى ولا طيرة)) هكذا قال عليه الصلاة والسلام ؛ خلق الله المخلوقات وقدَّر أرزاقها ومصائبها وكل أمورها ((فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟)) ؛ قال عليه الصلاة والسلام هذا كله لبيان أو لإبطال ما يعتقده أولئك من عقيدة باطلة ، وليس نفياً لوجود العدوى التي هي انتقال المرض من مريض إلى آخر بتقدير الله سبحانه وتعالى ، ولهذا جاءت أحاديث تثبت ذلك مثل : ((فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ)) ونحو ذلك من الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى .

الثاني : قال ((**ولا طيرة**)) ؛وهذا موضع الشاهد من الحديث للترجمة؛ نفي الطيرة . والطيرة : هي التشاؤم ؛ التشاؤم بالطير أو حتى بالحيوانات الأخرى إما بأصواتها أو بأسمائها أو بحركاتها أو بغير ذلك ، أو حتى التشاؤم بغير الحيوانات مثل ما سيأتي معنا التشاؤم ببعض الأزمنة أو التشاؤم ببعض الأفعال مثل العطاس بعضهم يتشاءم منه ونحو ذلك ، فنفى ذلك عليه الصلاة والسلام وأبطله قال: ((ولا طيرة)) .

((**ولا هامة**)) ؛ أيضا هذا مما نفاه صلوات الله وسلامه عليه . قيل الهامة : البوم ؛ طائر معروف وكان أهل الجاهلية يتشاءمون به ، إذا رأوه تشاءموا ، وكان بعضهم إذا وقع البوم على بيته قال "جاء ينعي نفسي لي" من تشاؤمهم بهذا الطائر . وقيل الهامة : دودة عندما يُقتل الإنسان ظلماً فإنها تخرج من جسده وتطوف برأسه وتقول "اسقوني اسقوني" يعني تطلب بالثأر لهذا القتيل ، وهذه كلها عقائد جاهلية جاء الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام بنفيها وإبطالها .

قال : ((**ولا صفر**)) ؛ قيل في معنى ((ولا صفر)) أقوال أقربها وأظهرها والله أعلم الشهر المعروف شهر صفر ، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون به ولهذا لا يُحدِثون فيه تجارةً أو سفراً أو زواجاً أو نحو ذلك تشاؤمًا منه ، يتشاءمون من هذا الشهر ، فنفى النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، يتشاءمون بهذا الشهر قال ((ولا صفر)) نفى تلك العقيدة .

مثل عقيدة أهل الجاهلية ما يوجد في زماننا لدى كثير من الجهلاء من التشاؤم بالرقم ١٣ سواء كان يوماً أو كان وقتاً أو كان بناءً أو غير ذلك ، حتى بلغ الحال بكثير من الشركات والمؤسسات مثلاً إذا بنوا بيتاً يكتبون أرقام الأدوار من الأول إلى الثاني إلى الثاني عشر إلى الرابع عشر بعده مباشرة ما يكتبون الثالث عشر لأنه رقم مشؤوم عندهم ، وحتى في بعض الطائرات يكتبون أرقام المقاعد الأول الثاني الثالث الثاني عشر الرابع عشر ما يكتبون الثالث عشر ، وأصل هذه العقيدة التي هي التشاءم بالرقم ١٣ عند النصارى لكن انتقلت إلى بعض الجهلاء ، كما في الحديث ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا)) ، والنصارى يتشاءمون فيما قيل من رقم ١٣ ويوم الجمعة لأنه بزعمهم أن عيسى صُلب في اليوم الثالث عشر في يوم الجمعة ولهذا يتشاءمون من رقم ١٣ ، وإذا اجتمع ١٣ من الشهر ويوم الجمعة لا تسأل عن شدة تشاؤمهم وانقباض نفوسهم في مثل ذلك الوقت ؛ هذه كلها عقائد باطلة .

فقوله ((ولا صفر)) نفي لهذا التشاؤم والتطير بهذا الشهر ، وما كان مثله يأخذ حكمه ؛ التشاؤم بيوم من أيام الأسبوع يعني بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء لا يُحدِث فيه مثلاً زواجاً أو تجارة أو غير ذلك ، أو مثلا ببعض الأيام أو بعض الأوقات أو بعض الساعات مثلا من اليوم هذا كله من عقائد الجاهلية الباطلة .

قال : **((ولا نوء))** ؛ أيضا هذا مما جاء الإسلام بإبطاله وهو التعلق بالأنواء والاستسقاء بالأنواء ، وسيأتي فيه عند المصنف رحمه الله تعالى ترجمة مستقلة .

((ولا غُول)) ؛ وهذا الأمر السادس مما نفاه مما عليه اعتقاد أهل الجاهلية ؛ اعتقادهم في الغيلان، وهو نوع من جنس الجن والشياطين يزعمون أنها تظهر لهم وتتغوَّل وتتلون وتتغير وتضلُّهم عن الطريق فيصبح لديهم شيء من التعلق الباطل المبني على مثل هذا الاعتقاد بالغيلان ؛ فقال عليه الصلاة والسلام: ((ولا غول)) .

الشاهد أن هذه أمور ستة نفاها عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث مجتمعةً وهي كلها من العقائد التي كان عليها أهل الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل)) قالوا : وما الفأل ؟ قال : ((الكلمة الطيبة)) .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث في الصحيحين؛ حديث أنس رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **((لا عدوى ، ولا طيرة))** وهذا تقدم معنا في حديث أبي هريرة قبله .

قال : **((ويعجبني الفأل))** أخبر عليه الصلاة والسلام أن الفأل يعجبه صلوات الله وسلامه عليه .

فسألوه عن الفأل ((**قالوا يا رسول الله وما الفأل؟**)) لما أخبر أنه يعجبه الفأل قالوا وما الفأل ؟ ؛ وهذا من حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير ورغبتهم فيه وحبهم لما يعجب النبي عليه الصلاة والسلام .

((**قالوا وما الفأل ؟ قال الكلمة الطيبة**)) أي أن يسمع المسلم الكلمة الطيبة فيُسَر ينبسط ينشرح صدره يأنس لذلك . قال ((يعجبني)) ، والكلمة الطيبة تبعث على حسن الظن وتحرك الطمأنينة في القلب وراحة النفس والنشاط أيضاً والعزيمة على العمل، لا تثني الإنسان ولا ترده بل إنها تُدخل عليه سروراً تُدخل عليه انبساطا ؛ فهذا أمر يقول عليه الصلاة والسلام ((يعجبني الفأل)) .

ومن الأمثلة العملية لذلك في سنته ما جاء في قصة صلح الحديبية لما جاء سُهيل ابن عمرو أوفده المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام جاء سهيل ابن عمرو قال: ((لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ)) من كلمة سهيل قال سهل عليكم أمركم ؛ هذه من الفأل . وجاء في الترمذي وغيره أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا خرج في حاجة يعجبه أن يسمع يا راشد يا نجيح ، هذه كلها كلمة طيبة يسمعها المسلم فيفرح ، لا تؤثر على اعتقاده ولا تغير في شيء من أمره وما هو قادم عليه لكنها تُدخل عليه السرور والانبساط وانشراح الصدر ، مثلاً شخصٌ مريض وسمع شخصاً ينادي آخر يا سالم ، أو مثلا شخص خرج في تجارة وهو أيضا ماشي في تجارته غير متردد سمع واحد يقول يا رابح انبسط ، أو مثلا فقَد شيئا يبحث عنه وإذا بشخص ينادي زميله يا واجد فينبسط ويفرح ، أي شيء في هذا !! هذا شيء جميل جداً يدخل سرور على المرء وانبساط وفرح ولا يغير شيئا في اعتقاده ، بل يفتح باب حسن الظن والمعاني الجميلة الطيبة وليس له أي أثر على اعتقاد الإنسان ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((ويعجبني الفأل)) ، قالوا وما هو الفأل ؟ قال ((الكلمة الطيبة)) .

قال رحمه الله تعالى :

ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذُكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أحسنها الفأل ولا تردُّ مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكرهه فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك)) .

****

قال رحمه الله تعالى: ((**ولأبي داوود**)) أي في سننه ((**بسند صحيح**)) .

((**عن عقبة بن عامر**)) هكذا وقع في نسخ كتاب التوحيد ((عن عقبة ابن عامر)) لكن الصواب كما في المصادر في سنن أبي داود وغيره «عن عروة بن عامر» ، وهو مختلف في صُحبته ، ومن أهل العلم من جزم أنه صحابي .

قال : ((**ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذُكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنها الفأل**)) ؛ قوله عليه الصلاة والسلام ((أحسنها الفأل)) نظير ما تقدم من قوله ((ويعجبني

الفأل)) ، في الحديث المتقدم قال عليه الصلاة والسلام : ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل فسألوا عنه قال الكلمة الطيبة)) ، فقوله هنا ((أحسنها الفأل)) هو نظير قوله فيما ما تقدم ((ويعجبني الفأل)) . وعرفنا الفأل من بيانه عليه الصلاة والسلام أنها الكلمة الطيبة يسمعها المسلم فينبسط ويُسَر بسماعها .

قال عليه الصلاة والسلام : ((**أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً**)) وهذا فيه أن غير المسلم تردُّه الكلمات التي يسمعها ترده عن الأمر الذي هو مقدِمٌ عليه ، يسمع صوتاً أو يسمع كلمةً فيتوقف عن تجارته أو عن سفره أو عن زواجه أو غير ذلك ، أما المسلم صحيح الإسلام فإن مثل هذه الكلمات لا ترده ولا تثنيه .

أيُّ صلة بكلمة يسمعها الإنسان في صلاح المرء أو عدم صلاحه ؟ أو أن يرى طيراً سبحان الله يخرج مثلا لتجارة ثم يرى مثلاً البوم ويلغي التجارة! أيُّ علاقة لهذا البوم بصلاح التجارة من فسادها؟! لولا فساد عقول أهل الجاهلية ، أو يسمع نعيق غراب ويترك التجارة ويلغي السفر أو يلغي الزواج أو يلغي المصلحة التي هو قادم عليها؛ هذا كله لا يكون إلا من وجود الشرك وفساد الاعتقاد ولهذا قال ((ولا ترد مسلمًا)) .

((**فإذا رأى أحدكم ما يكرهه**)) ومثله أيضاً السماع؛ إذا سمع ما يكره من الكلمات التي قد تهجم على القلب وربما تُدخل عليه شيء من الانقباض أو التخوُّف أو نحو ذلك .

((**إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل**)) وأرشد عليه الصلاة والسلام إلى هذا الدعاء العظيم الذي يمكِّن للاعتقاد الصحيح في القلب ويقوِّي الصلة بالله وحسن التوكل على الله ويُبعد عن القلب مثل تلك التعلقات الجاهلية الباطلة .

فقال عليه الصلاة والسلام : ((**فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**)) ؛ وما أعظمها من دعواتٍ لها أثرها العظيم على قائلها من حيث قوة التوكل على الله وحُسن الالتجاء إليه سبحانه وتعالى وأن الأمور بيده ، لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو سبحانه وتعالى، الأمر له من قبل ومن بعد ، أيُّ صلةٍ لطير مثلا يسمع صوته بجلب الحسنات أو دفع السيئات؟ أي صلة للطير بذلك؟ ولهذا يذكر أن طاووس رحمه الله كان عنده رجل فسمع نعيق غراب – صوت طير– فقال (خير) لما سمع صوت الطير قال خير ، قال : أيُّ خير أو شر في هذا ! لا تصاحبني ، أيُّ خير أو شر في هذا !! طير يقع على بيت الإنسان أو يعطيه شماله أو يساره أي خير أو شر بهذا!! لولا فساد عقول أولئك ، وإلا أي علاقة ؟

فلما يأتي بهذه الدعوة ((**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت**)) هذا توكل على الله وثقة به ولجوء إليه وصرْف أيضاً للقلب عن مثل تلك الأمور إن كانت هجمت على القلب .

((**ولا حول ولا قوة إلا بك**)) وهذه كلمة استعانة ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله هذه كلمة استعانة يقولها المرء متوكلاً على الله مستعينا به ملتجئا إليه سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله تعالى :

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل)) **رواه أبو داود والترمذي وصحَّحه وجعل آخره من قول ابن مسعود .**

****

قال رحمه الله : ((**وله**)) أي لأبي داود رحمه الله في سننه ((**من حديث بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً**)) أي إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

((**الطيرة شركٌ، الطيرة شرك**)) وهذا فيه بيان أن الطيرة من الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ لأن المتطير الذي يتطير بطير إما بصوته أو بحركته أو بوقوفه على بيته أو بنوع الطير مثلا وُجد فيه هذا التعلق ووُجد فيه هذا الاعتقاد ؛ أنَّ هذا الطير قد يحصل مثلا من جهته خير أو يحصل مثلاً من جهته شر أو يندفع شر أو يقع شر أو نحو ذلك وجد فيه هذا ، فالطيرة شرك لما في قلب المتطيِّر من تعلق بهذه الأشياء وعدم توكل على الله سبحانه وتعالى وعدم التجاء إليه جل وعلا .

قال : ((**الطيرة شرك الطيرة شرك**)) والتكرار لتأكيد الأمر وتقريره .

قال : ((**الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما منا**))هذا من كلام ابن مسعود وليس من كلام النبي عليه الصلاة والسلام قال ((**وما منا إلا**)) ولم يتم الكلام للعلم به ، وأيضاً هذا نوع من الأدب ؛ لما ذكر قول النبي ((الطيرة شرك الطيرة شرك)) قال ((وما منا إلا)) ولم يتمه للعلم به .

قال : ((**وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**)) انتبه للحديث الذي قبله قال : ((إذا رأى أحدكم ما يكره)) يعني إذا هجم شيء على القلب لا طلبه الإنسان ولم يتحرَّه ولم يكن من أهله لكن هجم شيء على القلب ، ولنفرض مثلا أن النفس حصل لها شيء من الانقباض أو التخوف أو نحو ذلك هجم خاطر على القلب بشيء رآه أو صوت سمعه أو نحو ذلك هذا يحصل قال : ((**وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**)) المؤمن لا ترده هذه الأشياء، يسمع هذه الأصوات أو يرى تلك الطيور أو غيرها مما يتشاءم بها من يتشاءم لكن لا تردُّه عن عمله ، إن كان في تجارة مضى في تجارته ، أو سفر مضى في سفره ، أو زواج مضى في زواجه ولم يبالِ متوكلاً على الله . هذا معنى ((ولكن الله يذهبه بالتوكل)) ، وهنا تأتي الدعوة التي مرت معنا في الحديث قبله يدعو المسلم دعوة التوكل والالتجاء إلى الله عز وجل ((اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك)) .

قال رحمه الله تعالى :

ولأحمد من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنه ((من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ، قالوا فما كفارة ذلك ؟ قال ((أن نقول : اللهم لا خيرك إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)) .

****

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث في مسند الإمام أحمد قال : ((**ولأحمد من حديث ابن عمرو**)) أي عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ((**من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**)) ؛ يعني هجوم شيء على القلب وطرده بالتوكل على الله والدعاء هذا لا يضر الإنسان ، لكن إن ردَّته عن حاجته ؛ كان مقدماً على تجارة فتوقف أو زواج فأعرض أو سفر فألغى السفر ؛ ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) وهذا فيه بيان حد الطيرة التي جاءت السنة بالتحذير منها أن الطيرة : ما أمضاك أو ردك كما سيأتي في الحديث الذي بعده ، وهنا قال: ((**من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**)) لأنه وُجد عنده هذا التعلق وهذا الاعتقاد المنافي لصدق التوكل على الله وحسن الالتجاء إليه سبحانه وتعالى .

((**قالوا فما كفارة ذلك ؟**)) يعني إن وُجد شيء من ذلك في الإنسان فما كفارة ذلك ؟

قال : ((**أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**)) ؛ (ولا طير إلا طيرك) مثل ما مر معنا في الآية الأولى التي ساق الشيخ رحمه الله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي بتقدير الله سبحانه وتعالى وبقضائه .

((**لا خير إلا خيرك**)) : لا يقع من الخيرات شيء إلا بقضائك وقدرك ، ولا يقع أيضاً من المصائب أو النوازل أو غير ذلك إلا بقضائك وقدرك .

((**ولا إله غيرك**)) أي لا معبود بحقٍ سواك ، هذه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» . ((ولا إله غيرك)) أي لا معبود بحق سواك لا ندعو إلا أنت ولا نلجأ إلا إليك ولا نتوكل إلا عليك ولا نصرف شيء من عبادتنا والتجائنا إلا لك.

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في المسند وفي إسناده ابن لهيعة ، لكن ممن روى هذا الحديث عن ابن لهيعة عبد الله بن وهب وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط .

قال رحمه الله تعالى :

وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه : ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)) .

****

هذا الحديث ختم به المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة ، وأورده لأن فيه حدّ الطيرة ؛ ((**الطيرة ما أمضاك أو ردك**)) هذه هي الطيرة التي جاءت الأحاديث بذمِّها ما أمضاك أو ردك ، أما شيء يهجم على القلب ويطرده

الإنسان هذا لا يضره ، لكن الذي يُمضي العبد يجعله يمضي في عمله أو يتوقف عن عمله يُقدم أو يُحجم ويكون له تأثير عليه في عمله هذه الطيرة التي جاءت الأحاديث بذمها والتحذير منها ((**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك**)).
والحديث أعلَّه المصنف الإمام رحمه الله كما نقل ذلك عنه الشيخ سليمان بن عبد الله في التيسير ، أعله بالانقطاع وبأيضاً الكلام في أحد رواته ، فالشيخ أعل الحديث لكنه أورده هنا لأن فيه ضابط للطيرة المذمومة أن ((الطيرة ما أمضاك أو ردك)) ، مثل ما مر معنا في الحديث الذي قبله ((من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ؛ هذا معنى قوله ((أمضاك أو ردك)) يعني ردته الطيرة عن حاجته ، هذا الذي يقع في الشرك وفي الطيرة التي هي شرك كما مر معنا في حديث ابن مسعود ((الطيرة شرك الطيرة شرك)) عندما تجعل الإنسان يُمضي الأمر أو يتوقف عن الأمر ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)) .

.

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى : التنبيه على قوله { أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } مع قوله { طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ } .

هاتان الآيتان بهما بدأ المصنف رحمه الله تعالى الترجمة ، وقد مضى الكلام على الآيتين وتعلقهما بالترجمة .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة.

الخامسة : نفي الصفر .

هذه الأربعة كلها جاءت في الحديث المتقدم حديث أبي هريرة ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) ، وكل هذه الأمور نفاها النبي عليه الصلاة والسلام وبيَّن بطلان ما يعتقده أهل الجاهلية من اعتقادات باطلة في هذه الأشياء فنفاها وأبطلها صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

السادسة : أنَّ الفأل ليس من ذلك ؛ بل مستحب .

لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال كما في حديث أنس : ((ويعجبني الفأل)) ، فالفأل ليس من ذلك ، ليس من الطيرة وإنما الفأل كلمة الطيبة يسمعها المسلم فيفرح ويُسَر بذلك ، فالفأل ليس من ذلك بل هو مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

تفسير الفأل مر في حديث أنس عندما سألوه عليه الصلاة والسلام قالوا وما الفأل؟ قال : ((الكلمة الطيبة)) .

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ، بل يذهبه اللهُ بالتوكل .

«**الواقع في القلوب**» يعني الذي يهجم على القلب بدون استئذان ، لا يطلبه الإنسان ولا يبحثه ولا يتحراه ولكن يهجم عليه بدون استئذان ، يعني مثلاً شخص مشى مسافراً وأول ما بدأ الطريق وإذا بحادث في طريقه ووقع في نفسه أنه يخشى أنه يحدث له حادث ، مشى قليل وإذا بحادث آخر مثلا ووقع في نفسه انقباض أو نحو ذلك ، هنا يأتي الامتحان ((إنما الطيرة ما أمضاك أوردك)) ، كونه يهجم على الإنسان مثل هذه الأشياء أو مثلا يهجم على قلبه شيء من هذا ؛ هذا لا يضره ، لكن إن رجع قال اليوم ما أسافر مادام أني رأيت كذا لن أسافر اليوم ، إذاً يكون هذا التطير رده ومنعه من عمله أو من حاجته أو مصلحته .

فيقول «**أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر**» الواقع في القلوب مثل ما عبَّرت لكم الذي يهجم على القلب بدون استئذان من رؤية أمر معيَّن هذا لا يضر ، وكون الإنسان يكره هذا الشيء وينفر من وجوده في قلبه ويستمر في حاجته ويلجأ إلى الله «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يصرف السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» ويمضي في حاجته ولا يبالي ، فهذا معنى قوله ((**أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهيته لا يضر، بل يُذهبه اللهُ بالتوكل**)) .

التاسعة : ذِكر ما يقول من وجده .

تقدَّم في حديث عقبة من حديث عروة بن عامر الذي في سنن أبي داود ؛ يقول : ((اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك)) .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك.

وهذا تقدم في حديث ابن مسعود قال : ((الطيرة شركٌ الطيرة شرك)) .

الحادية عشر : تفسير الطيرة المذمومة .

وهذا يستفاد من الحديثين الذين ختم بهما المصنف رحمه الله الترجمة ؛ قوله ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ، وقوله ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)) .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .